

دراسة ديوان "الإنكشاف"
للسيد عبد الله بن علي بن ناصر
دراسة مقارنة بأساليب القصائد العربية

تقديم:

عبد الله بنديد

جامعة كينياتا - كينيا

ملخص البحث

تقدم هذه الدراسة تحليلاً مقارناً للأدب العربي والسواحلي ، مع التركيز على الشعر المتعلق بالوصايا من كلا الطرفين. بينما كثرت دراسة الأبحاث الشعرية السابقة حول هذا الموضوع، لم تكن هناك مقارنة منهجية للأدب العربي والسواحلي في هذا المجال . والهدف من هذه الدراسة هو إثبات العلاقة بين اللغتين وإثبات أن الأدب السواحلي متأثر بشدة بالأدب العربي الذي يُعد أبا له.

وتعتمد الدراسة على أعمال السيد عبد الله بن علي بن ناصر وخاصة كتابه "الإنكشاف" الذي يستكشف تأثير الشعر العربي (القصائد) في الأدب السواحلي من خلال الفحص الدقيق لأوجه التشابه والاختلاف بين الشعر العربي والسواحلي في الوصايا ، توضّح الدراسة أنّ الأدب السواحلي متجذر بعمق في التقاليد الأدبية العربية بشكل عام ، تسلط هذه الدراسة الضوء على أهمية فهم الروابط بين التقاليد الأدبية المختلفة ، وكذلك الطرق التي يمكن لهذه التقاليد أن تشكل وتؤثر على بعضها البعض. من خلال تسليط الضوء على العلاقة بين الأدب العربي والسواحلي في سياق الشعر المتعلق بالوصايا ، تساهم هذه الدراسة في فهم أوسع للتراث الثقافي الغني والمتنوع للعالم الناطق بالعربية والسواحلية.

المبحث الأول: وفيه عدة مطالب منها المطلب الأول الذي فيه المقدمة ، والتعريف بالقصيدة السواحلية "الإنكشاف" ، والمطلب الثاني وفيه التعريف بالشاعر السواحلي السيد عبد الله بن علي بن ناصر ، والمطلب الثالث الذي ذكرته فيه نسبه .

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الانسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي المكرم، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد .

تتناول هذه المقالة شعر الوصية بين الشاعر السيد عبد الله بن علي بن ناصر في قصيدته "الإنكشاف" وبين بعض مثيلاها العربية من جانب آخر على التوالي.

وتتمثل هذه السطور لمقارنة دراسة هذه القصيدة السواحلية - على وجه العموم مع عربية حاملة نفس الفكرة بتحليل أهم ظواهر أسلوبية ولغوية التي تميز بها أسلوب شاعر القصيدة ومدى إرتباطها بنفسية كل من قائلها لقصائد الوصية من السواحليين والعرب وظروف معيشتهم.

ومن خلال هذا التحليل سوف يتم التطرق إلى أهم خصائص كل من شعر الوصية السواحلية والعربية كما تتطرق إلى دراسة الأفكار الرئيسة في القصيدتين.

نشأ السيد عبد الله بن علي بن ناصر شاعر الإنكشاف في عهد يعدّ من أوائل العهود السواحلية فهو من أصول عربية انشغل بموضوع محادثة النفس وعزو الكلام إلى الروح وكذا الوصايا. ويجدر الذكر بأنّ العهد الذي عاش فيه يشبه العصر الجاهلي في كثير من الأغراض وصلابة الألفاظ، لأنّ كثيرا من الأحوال التي تتعلّق بثقافة القوم لم تتغيّر بتغيّر الزمان المشاهد اليوم.

إنّ الشعر السواحلي ركن من أركان المجتمع السواحلي الإسلامي و أساس من أسسه التي يترابط به المجتمع ويلتزم، وحجر مهمّ من لبناته وبنائاته الاجتماعي والسياسي، فمثل هذه القصيدة تقوي الرجال ثقافيا ودينيا واجتماعيا

كما نجد أن هذا الشعر السواحلي يشبه العربي من حيث تكوينه البنيوي وأسلوبه الفني كما يشبه الشعر العربي القديم في اعتماده على عمود الشعر حيث يبدأ هذا الشعر ببيكاء الشعراء على فراقهم وذكر الأطلال والرحلات وأخيرا ذكر الوصية لأبنائهم وبناتهم، ولذلك كثرت الدراسات التي تناولت أغراض الشعر السواحلي ، ولكن الذي أثار اهتمام الباحث ولفت انتباهه هو أنّ معظم الباحثين عزموا على المرور الكرام بصفة تشرح جانبا مهما في المجتمع السواحلي القديم و ذلك في مجالات تتعلّق بأسلوب التعبير مما أثار فضول الباحث بأنّ هناك تقصير في تغطية المجتمع السواحلي من ناحية أنّه لم ينل حظا من الدراسة المماثلة لأسلوب التعبير العربي من التشبيهات والكنائيات والاستعارات غير أنّ مما أثار اهتمام الباحث أنّ النقد والباحثين السواحليين قصرُوا في إتباع القواعد العروضية الكاملة كاللّقطيع الصحيح للأبيات والشرح الوافي، فإنّ هؤلاء لم يوفوا دراسة كاملة مقنعة لقصائد الوصية كما فعلوا بالأغراض الشعرية السواحلية الأخرى.

وهذا الأمر دفع الباحث الى إقامة دراسة مستفيضة لأشعار الوصايا السواحلية لاستكشاف ما حصل فيها من عدم الإنصاف لدى أولئك الباحثين والتقاد. ويُطرح الى جنب السيد عبد الله بن علي بن ناصر شاعر عربيٍّ مخضرمٌ ونقصد بذلك أنه مُلهمٌ يقول الشعر من فصيح اللسان ومن العامية السودانية التي تُعرفُ بالدّرجة وهو من طبقات فحول الشعراء في البلد وعلم يرفرف فوق سمائه والمقارنة تأتي من كلا الطرفين وما إذا كان الشعر السواحليّ يأخذ من مناهل الوصية نفس المنهل الذي يرتوي منه العربيّ وما يتفقان عليه، والله نسأل أن يرضى بأعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

المطلب الأول: التعريف بالقصيدة السواحلية "الإنكشاف"

الإنكشاف قصيدة مقتطعة ذات 79 بيتا ، اقتطع الباحث منها ما يخصّ الوصية يُعتقد لأبيات من تأليفات السيد عبد الله بن علي ناصر ألفها في فترة ما بين عامي 1810 و 1820 م، قام علماء الأدب السواحليّ بتصنيفها على أنّها من أفضل القصائد باللغة السواحلية. على سبيل المثال ، يكتب هتشينز وليامز في المقدمة لترجمته الإنجليزية للقصيدة يقول :

" القصيدة هي عبارة عن مناجاة من هروب مميت، وعلى الرغم من أنّها ليست القصيدة الأولى ولا الأخيرة التي كتبها مؤلفون سواحليون حول هذا الموضوع، إلا أننا سنلاحظ أن قصيدة الإنكشاف قد تكون مبنية على هذا الموضوع ونلاحظ أنه يمكن أن يقوم هذا العمل على عمل سابق له "1.

ومن هذا الاقتباس، فإن التصنيف العالي لهتشينز وليامز للقصيدة لا لبس فيه.

والشاعر ينتمي الى جزيرة باقي وهي من جزر أرخبيلية لامو الكبرى (مجموعة الجزر المنتمية اليها)، ولهذه الجزيرة ميزة حضارية تُنسبُ إليها ولكلّ من ينتمي إليها وهناك فحول من الشعراء الذين ينتمون إليها من مثل شاعرنا ابن ناصر، والشاعرة موانا كوبونا ، والشاعر محمود ماو وغيرهم كثيرون وكلّهم من سادات الشعر السواحليّ ويقول فريمان غرينفيللي :

"بدأت باقي في الإزدهار تجارياً، حتى قهرت المئذّن المجاورة مثل جزيرة ماندا، وتمّ سرد نتائج الحرب بين باقي وماندا في الشعر السواحليّ حيث انتصرت باقي وأسرت سكان ماندا كلياً". 2

المطلب الثاني: التعريف بالشاعر السواحليّ

هو الشاعر الفحل العربيّ السّاحليّ اللّاميّ الأصل ، السيد عبد الله بن علي بن ناصر من سلالة الشيخ أبي بكر بن سالم الحضرميّ. وُلد الشاعر بجزيرة باقي من مواليد 1720م وتوفي عام 1820م ولا يعرف بحياته في الصّغر إلاّ

¹ يُنظر : الانكشاف ، وليامز هتشينز 1972 ص 7.

² يُنظر فريمان غرينفيللي ، طباعة - 1975 صفحة 241.

أنه كان يُعرف برجل الدين والأستاذ المدرّس للدين الإسلاميّ في عصره ، وهو الى جانب معرفيته بقصيدة الإنكشاف فهو الشاعر للقصيدة الأخرى المعروفة بالتخميسة ، وما خلا هاتين القصيدتين فانه لم يُعزّر إليه بأخرى.

المطلب الثالث : نسب الشاعر

ينتسب السيد عبد الله الى الأسرة الشريفة التي ينتسب إليها الرسول صلى الله عليه وسلم فهو قرشيّ النسب وهو من سلالة الشيخ أبي بكر بن سالم.¹

هو السيد عبد الله بن علي بن ناصر بن أحمد بن عبد الله بن علي بن شيخ ابي بكر بن سالم. وهذا الشيخ الذي تنتسب اليه القبيلة توفي في عام 992م بحضر موت..

والظاهر أنّ للناصر ولدين: علي وطالب، وهذا الأخير هو المشاهد قبره في جزيرة باقي، وللأسرة الكريمة فحول من العلماء والفقهاء المحترمين مثل شيخان الفقيه الشاعر المتوفّي في عام 1895م ، وكذا شريف عيدروس بن عثمان بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم ، وهذا عيدروس هو المؤلّف لقصيدة الهمزية باللّغة السّواحلية وقد عاش حتى عام 1749م.²

ومطلع القصيدة الهمزية:

أماي، أماي هكّيك و مُتيم ونع كوا ذمب تنداز ن متوف كواك فهم

Amani, Amani hakika mtima wangu kwa dhambi tendazo ni mtovu kwako fahama

وبعني:

السلام، السلام حقًا يا قلبي لأنّ ذنبك فاسد فلتفهم

وقد كان شريف السيد عبد الله بن علي بن ناصر يتوسّل إليه بالدعاء إلى الله والتضرّع للتغلب على الأعداء مثلما قام به محمد الخامس وهو سلطان باقي في حينه، وكان في عداوة متبادلة بينه وبين الغالا ، وهم قبائل أرمو القاطنة على تخوم نهر تانا والمجاورة لسلطنته .

فهذا السيد عبد الله يذكر اسمه في مطلع قصيدته الأخرى المعروفة بالتخميسة في قوله:

" ومؤلف هذه القصيدة يُعرف باسم عبد الله لتفهموا وهو ابن علي بن ناصر، صاحب مقام ، من فروع مكة ، ومسقط أجداده تريمو من بني مضر ، بعد مطلب وهاشم".³

وفي جزيرة باقي عدّة مقابر للأسرة الشريفة معروفة بالمشهد، وهو مكان مقدّس عندهم أو مرقد الأولياء⁴

¹ انظر: مقدمة القصيدة، ترجمة الشاعر.

² انظر الإنكشاف، الطباعة الإنجليزية ، ص 10

³ ويقصد به من الأسرة الشريفة بنو مطلب وبنو هاشم (السلالة الشريفة).

⁴ انظر الى التخميسة، ص 27

وعندما أرسل الشيخ أبو بكر بن سالم الجد الأكبر للأسرة وفده للإقامة في الجزيرة فإنّ الوفد أول ما تمكن من هناك سكن في سرامي (وهي قرية من قرى جزيرة بائي) واناقي (وكذا هي حي من أحياء بائي) وشنطوني (كذا هي من توابع جزيرة بائي) وهناك إشارة من الشاعر إلى واحدة منهن وهي سرامي في البيت 59

لقد استعمل الشاعر اللغة أو اللهجة المعروفة في وقته المعروفة بكينغوزي وهي لهجة فصيحة قديمة ساحلية كانت تُستعمل إلى جنب بعض لهجات أخرى مثل كيآمو، كيكاي، كيمنفتا .

وكما هو واضح في النسخة الخطية المتبادلة أولاً في عام 1910م على يد محمد أبي بكر بن عمر البكاري وهو آخر شاعر مشهور في لامو.

المبحث الثاني: زمن القصيدة ومكانتها ومقارنتها بأ نموذجها

وفيه عدة مطالب منه الأول يُنظر الى زمن القصيدة الذي صدرت من الشاعر وفي المطلب الثاني منه يُنظر الى المكانة التي يتمتع بها الشاعر من طبقات الأدباء السواحليين وفي المطلب الثالث مقارنة لأنموذج القصيدة مكتوب بالحرف السواحليّ الأوّل إلى الحرف اللاتيني، ويتناول المطلب الرابع الكلمات السواحلية ذات الأصول العربية، وفي المطلب الخامس شرح القصيدة شرحاً إجمالياً.

المطلب الأول: زمن القصيدة

وان كنّا لا نستطيع تحديد مولد الشاعر على وجه التّحديد والضّبط إلا أنّ القرائن التي وجدت تدلّ على أنّه كان قد عاش بعد عمّه طالب بن ناصر وهو على حسب الخط المكتوب على قبره توفيّ في عام 1755م.

وبما أنه وجد خط آخر قديم بيد الشيخ سيّد المنصب وهو من الأسرة الشريفة كذلك لكنّه من فرع عبد الرحمن بن أبي بكر، وتلك الخطوط تعزى الى العام 1853م وتحتوي على 77 بيتاً بدون إتمام البيتين الأخيرين 78، و 79 ، وسماها الإنكشاف استقاء من قوله تعالى :

(فكشّفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديدً)

وتوجّه خطاب الآية إلى الإنسان والمعنى أنّ الغطاء الذي كان قد غشاك قد انجلي ورفع عنك بعد الموت وكنت على لهو منكر دائم حتى صرت بصيراً حاداً قاطع اليقين تُدرك به ما كنت تُنكره في الدّنيا وكنت غافلاً عنه.¹ هـ.

ويقال لهذا الإنسان المسوق: لقد كنت في الدنيا في غفلة عن هذا اليوم بسبب اغترارك بشهواتك ولذاتك، فكشفنا عنك غفلتك بما تعابنه من العذاب والكره، فبصرك اليوم حاداً تدرك به ما كنت في غفلة عنه.

على الرغم من حقيقة أن القصيدة كتبت قبل قرنين من الزمان، لا يزال الباحثون يبحثون عن مشاكلها الموضوعية وأهميتها اليوم، كما يؤكّدون ويشرحون حداثة لغة القصيدة وكتافتها وجمالها بأمثلة من القصيدة

¹ انظر تفسير الطبري للآية الكريمة رقم 22 من سورة ق.

وعادة ما يناقشون بعض قضايا القصيدة، مثل ما إذا كانت القصيدة كاملة أم لا، وما إذا كانت القطعة في الأساس عبارة عن خطبة دينية وليست عملاً فنياً أم لا .

المطلب الثاني: مكانة الشاعر

إنّ السيد عبد الله، الذي كتب قصائد سواحلية بالحرف العربي، هو من أوائل الرواد المعروفين في الشعر السواحلي الكلاسيكي، لهذا السبب يسعدنا أن نشارككم مقتطفاً من ديوانه الأكثر شهرة وهو الإنكشاف ، والذي يُترجم أحياناً على أنه صحوة الروح .

كتب الشاعر في موضوعات دينية بحتة، كعالمٍ مسلم، قصائد طويلة مستخدماً الأفكار الإسلامية والوصايا الدينية وأحداثاً تاريخية ، والسلطة .

فقصيدته الإنكشاف المكتوبة بعد عام 1749 م جزءٌ من أعماله المطوّلة التي لم يتمكن السيد من استكمالها، ولكن حتى في حالتها غير المكتملة ، فهي عبارة عن تأملٍ من 308 سطر في تراجعات سلطنة شرق أفريقية القوية وهي سلطنة باي الإسلامية ، كما هي وصية للأمة .

في كثير من أبيات القصيدة تثيرُ القصيدةُ الخراب والإنحلال الدّين حلاً في السلطنة إنه يعطي رواية لشاعر يخاطب قلبه، في مواجهة صعود الإمبراطوريات البشرية وسقوطها الحتمي، يخبر الشاعر قلبه بالإمتناع عن السّعي إلى السلطنة والثروة والأشياء العبيثة الأخرى .

هنا جزء صغير من القصيدة للمتعة الخاصة بالقارئ.

المطلب الثالث: مقارنة نموذج القصيدة مكتوبة بالحرف السواحلي الأول إلى

الحرف اللاتيني مع شرح معانيها الى العربية.

عمود الشعر السواحليّ	عمود للحرف اللاتينيّ	عمود لشرح المعاني
بِسْمِ اللَّهِ نَاكْدِيمُو هَالِي يَا كْتُونْغَا هِينُو نْظَمُو نَا رَحْمَنُ كَرَسِيمُو بَاسِي الرَّحِيمِ نِيَوْمَا إِكَاثِي	Bismillahi Naikadimu Hali ya kutunga hino nudhumu Na Rahmani karasimu Basi Arrahimu Nyuma ikaye	باسم الله أقدم في حالة تصنيف هذا الشعر وكذا أتقدم باسم الرحمن ونؤخر باسم الرحيم
11- مَو يُو وَأَنْعُو نِيْنِي هُزِينْدَكَانِي لِكُغُرِيَلُو	Moyo wangu nini huzundukani Likughurielo hela ni nini	يا قلبي، لم لاتستيقظ؟ ما ذا يعرك، هل هو مال، أم ماذا؟ لم لا تخبرني؟ حتى يتضح لي

<p>إذا كان شيئاً ملموساً لا أنكره</p>	<p>Hunelezi nami kalibaini Liwapo na sura nisikataye</p>	<p>هَيْلَا نِينِي هُنَالَيْزِي نَامِي كَلَيْبَائِي لِوَابُو نَا سُوْرَه نِسِكَاتَايِي</p>
<p>يا قلبي، ما الذي لا تعتبره؟¹ نقول أنت ذكي، وتختار.. ألا تعرف أنّ الدنيا ذات غرور.. لم تسلك الطرق الوعرة؟</p>	<p>moyo wangu nihuitabiri twambe u mwelevu wa kukhitari huyuyi dunia ina ghururi ndiya zatatazi hu zandamaye</p>	<p>12 مَوْيُو وَانْعُو نِ هِيَاتِبِيرِ تُوَامِي هُو مُوَيْلَيْفُ وَ كُخْتَارِ هُيُوي دُنْيَا إِنْ غُرُورِ نُديَا زَ تَتَاَزِ هُرُنْدَمَايِ</p>
<p>أليست هذه الدنيا بحر زاهر. بها الطحالب والأخاديد البحرية.. الذي سيركبه فاعلم أنّه حاذق.. فانّ خسرتها فقد وقعت في الخسارة النهائية.</p>	<p>Suu ulimwengu bahari tesi Una matumbawe na mangi masi Au rakibuo juwa ni mwasi Kwa kula khasara ukhasiriye</p>	<p>13 سُوْ أُولْمُوَيْنَعُ بَحَارِ تَيْسِ أَنْ مُتْتَبَاوِي نَ مَنَعِ مَسِ أَوْ رَكْبُووُ جُو نِ مَوَاسِ كُوَاكُوْلَ حَسَارَ أُو حَسِرِييِ</p>
<p>مثل البئر التي ليس لها قعر.. لعجل البقر متا-با ، إذا اقتربت ينطحك بقرنه.. حتى لا تشرب حليبه البتّة.²</p>	<p>Ni kama kisima kisicho ombe Chenye mta-paa mwana wa ngombe Endapo kwe gema humta pembe Asipate katu kunwa maiye</p>	<p>14 نِ كَمِ كِسِمِ كِسْتَشُوْ أُوْمِي تَشِينِي مِت-بَا مَوَانَا وَنَعُوْمِي أَنْطَابُ كُوَيْعِيْمَا هُمْتِ بِيْمِي أَسِبَاتِي كَتْ كُنُوْ مَاِيِي</p>

¹ الإنكشاف، لوليام هيشينس ، طبعة جامعة أكسفورد ، 1972 ص 56-58.

² من ترجمة الشيخ محمد عبد الله ، مسؤول الدعوة في مسجد الجامع نبروي (ملاقة)

<p>أو نظرة غبار في وضح النهار. في وقت الشمس إذا طلعت.. الذي سيقترب إليها تصطمها.. لا يرى شيئاً إذا اصطدمت (من القوة)¹..</p>	<p>Au enga vumbi la mwangaza Wakati wa yua likitepuza Mwenda kulegema akilisoza Asione kitu ukishishiye</p>	<p>15 أَوْ أَنْعَا فُئْمِي لَ مُؤْنَعَارَا وَكَاتِ وَ يُؤَ لِكِتْبُرَ مُؤِنَطَا كُغَمِيمَ أَكِيلِ سَوَزَ أَسَاوُنِي كَيْثُ أَوْكِشِشِي</p>
<p>أو نظرة الى سراب بقيعة.. إذا انتصفت الشمس.. صاحب العطش يقول..هل هناك ماء؟ هرب إليها لكي يرتوي من الماء..</p>	<p>Au enga meto limetukapo Wakati wa yua linganapo Mwenye nyota hwamba ni mai yapo Kayakimbilia akayatwaye</p>	<p>16 أَوْ أَنْعَا مَيْتَو لِيْمَى تُكْبُ وَكْتِ وَ يُؤَ لِلْنَعَانَابُ مُؤِنِي نِيوتَ هُوَامَبِ نِ مَاءِ يَبُ كِيكِمْبِلِي أَكِيْتَوَاءِ</p>
<p>إذا ضربتك الشمس تحسّ بالعطش.. حتى إذا أعطي ماء لم يكذ يشربه.. ولا يستفيد منه إلا أن يشقى.. فصار ذا ندم شديد...²</p>	<p>chenda akaona mwako wa yua mai alotaka akayatua asifidi yambo ila shakawa ikawa mayuto yasimsiye</p>	<p>17 تُشِينْدَا أَكَاوَنَ مَوَاكُ وَيُؤَ مَاءِ أَلْ تَاكَا أَكِيَاتُو أَسْفِيدِي يَمْبُ إِلْ شَاوَا إِكَاوَا مِيُوتُو يَسْمِسِي</p>
<p>كلّ الخصائص والأهوال.. الشدة والشقاوة يستقران.. الدنيا هي التي تحبها.. ذات ذلّ كثير ومصائب..</p>	<p>Khasaisi zote na makatayo Shida na shakawa likupeteyo Ni dunia si upendayo Yenye dhuli mingi na makataye</p>	<p>18 حَسَاءِ سِ زَوْتِي نَ مَكْتَايُو شِدَّ نَ شَاوَا لِكُ بَتِييُو نِ دُنْيَا سِي أُو بِنْدَايُو يُنْبِي دُلْ نِينْغِي نَ مَكْتَايِي</p>
<p>الدنيا جيفة لا تقتربها ،</p>	<p>Duniya ni jifa sii karibu Haiupendi mtu ila kilabu I hali gani ewe labibu</p>	<p>19 دُنْيَا نِ جِيْفَ سِي كَرِيْبُ</p>

¹ يريد قوة الشمس أثناء الاصطدام..

² من ترجمة الشيخ محمد عبد الله صالح، مسؤول الدعوة في المسجد الجامع نبروي .

<p>لا يُجَبِّها الآ الكلاب¹ .. كيف حالتها أيها اللبيب .. اتك تطاوعها وتقدرها ..</p>	<p>Kuwania na mbwa hutukizwaye</p>	<p>هَرءٌ يَبْنُدِي إِلاَّ كَلابُ إِهالِ قاني أَيوى لَيْبُ كُوابِي نَ مَبُوا هُتُكِ زُواءِ</p>
--	--	---

المطلب الرابع : الكلمات السواحلية ذات الأصول العربية في القطعة من القصيدة

ومعناها

- ليكوغريئلو - الذي يغريك، من الغرور أصلا.
- كليباني - من أصول كلمة البيان، ومنها إيصالها ببعض الحروف .
- هوئيبيري - بمعنى لا تعتبر ، مأخوذة من كلمة الاعتبار
- دنيا هي نفس كلمة الدنيا المعروفة ومأخوذة منها.
- غروري - من أصل كلمة الغرور بما فيها تحريفاتها والتغيرات الطارئة عليها.
- كختاري - من كلمة الاختيار وهي إعطاء الحرية في ملكية الشيء أو له أن يختار ما يشاء
- بحاري - هي نفس معنى كلمة البحر في العربية، إلا أن الصياغة مُدَّت بالألف.
- خساره - بمعنى الخسارة التي نفهمها بالعربية في عدم النفع والاستفادة من شيء.
- أخاسيري - من نفس الكلمة السابقة من معناها مأخوذة ويعني هنا لكي تخسر بها.
- مائي - من الماء، وقد استلزمت الكلمة بألفاظها العربية غير أن هناك تغيير بسيط في الجذب.
- وكاتي - يعني الوقت، في كثير من التصريفات السواحلية تغير القاف كافا.
- ماء- وهي نفس الكلمة الماء المعروفة لدينا.
- شكاوا - من الشقاوة وهي عدم السعادة والرضى بالشيء أو الموقف وقد غيرت القاف كافا كما أسلفنا قريبا.
- خصائصي - من الاختصاص وما لا يقوم به الغير إلا هو وهو طابع معروف به
- شيدا - من كلمة الشدة لفظا ومعنى.
- ذل - من الذل نفس لفظ الكلمة ومعناها.
- جيفه - جيفة ، ما تلف من اللحم.
- سي كريبو - لا أقترب ، من نفي "سي" وكريبو يعني القرب ، بمعنى لا أقترب.
- كلابو - كلاب ، جمع كلب
- إهالي - الحال ، وتغير الهاء هاء عند السواحلية .

¹ يعني بذلك ، لا يصاحبها الأذو طبع كلاب، من الدناءة.

لَيْبُو - هي نفس كلمة اللبيب المعروفة بالفطنة ، اللبيب الرجل الفطن

المطلب الخامس : المعنى الإجمالي لقصيدة الإنكشاف

يبدأ الشاعر في هذه الأبيات لتوعية نفسه ويوصيها ويزجرها في تتبع الهوى ، ويعني هوى الدنيا بحيث تتبع إغراءات يغريها إبليس لكي يوقعها في الشهوات والأشياء المحرمة المزيّنة للذة ، فهو يريد للتّمس أن تنقطع عن الشهوة كارهة للفعل طائعة للرب ، فما أدراك أن تحمل اسم القصيدة من المعنى الذي تحمله هذه الأبيات وهي بمثابة انكشاف التّمس ، فكثير من الشعراء الصّوفية قاموا بتحذير النفس عن الهوى ، كقول محمد البوصيري المصري المادح للرّسول صلّى الله عليه وسلّم :

والنفس كالطفل ان تحمله شبّ على حبّ الرّضاع وإن تفضمه ينفطم

فأصرف هواها وحاذر أن تولّيه إنّ الهوى ما تولّى يصم أو يصم

كم حسنت لذة المرء قاتلة من حيث لم يدّر أنّ السّم في الدّسم.¹

فانكشاف المرء لسريرته أو أعماق قلبه تقول له أنّ الهوى مطية الفتنة والدّنيا دار المحنة، فاترك الهوى تسلم وأعرض عن الدّنيا تغنم، وكلّ هذا يدلّ ويوضّح مدى التّوافق في الموازنة بين الأدبين الإسلاميين العربيّ والسّواحليّ وحديثهما عن التّمس وعن الدّنيا ومخاطبتها أيّهما وهذا موضوع بحثنا ومراد نقطة دائرتنا الكبيرة التي على محورها ندور ، ذلك التّوازن الذي يوضّح أنّ معنى ثقافة الأدبين العربيّ والسّواحليّ واحد في الأصل وان اختلفت الأماكن والبيئات..²

المبحث الثالث: التعريف بالشاعر العربي ودواوينه

وفيه المطلب الأول نتعرّف الى الشاعر العربي ودواوينه، ونتعرّف في المطلب الثاني الى قصيدته المراد مقارنتها وفي المطلب الثالث يأتي شرح القصيدة ثمّ في المطلب الرابع يُتطرّق الى دراسات مقارنة بينها وبين القصيدة السواحلية كما سنرى في المطلب الخامس يُحتتم بالتّوصيات والنتائج.

إسماعيل حسن فضل السيد أحمد (ود حد الزين)

شاعر سوداني من مواليد شمال السودان، له أكثر من مئة أغنية مسجلة بالإذاعة والتلفزيون.³

¹ انظر قصيدة البردة في مدح سيد الأنام للبوصيري الأبيات 20، 21، 22.

² - انظر محمد عبد الفتاح ابراهيم ، إفريقيا الأرض والناس، ص.145.

³ مكتبة الأغنية السودانية ، الشاعر إسماعيل حسن سودانيس سونغس دت نت .

ولد الشّاعر في قرية وادعة، بمنطقة جلاس (القلعة - البار)، في العام 1929م

له عدّة دواوين شعرية ومنها العامية التي تعنى بها فحول الأدباء والفنّانون السّودانيّون، ومن قصائده العظيمة هذه القصيدة التي يؤنّب فيها قلبه في لحظة إقتراب فراقه، وتوفيّ الشّاعر في السّودان في عام 1982

دواوينه:

خواطر انسان بالفصحى

ليالي الريف

ريحة التراب

حد الذين

يا سلام

الحرف والوتر

المطلب الثّاني : التعريف بالقصيدة (الوصية)

الوصية

حلفتك يا قلبي حلفتك يا قلبي

حلفتك برّي خليه الغرام

يتنكرّ لحبك ورّيه الخصام¹

ليه تتهان يا غالي ليه والذل حرام

تتعدّب لوحدك ليل والناس نيام

إن جاك يوم يصالحك قول له الكلام

أو آيات حنينة لترد السلام

أوع يا قلبي تنسى في لحظة الوصية

أنا عارفك حنين ستشمت عليّة

¹ ورّيه الخصام ، قاومه وجادله .

أوع يا قلبي تنسى أوع يا قلبي¹

حلفتك يا قلبي الخانك تحونه
والفيت غرامك أوع في يوم تصونه
وزي ما أبكي بعيني سهر لي عيونه

أوع تقول لي ثانية ما أعيش بدونه
يا ريت الحب لقينا غير همّه وشجونه
أوع يا قلبي تنسى ، أوع يا قلبي .

حلفتك يا قلبي حملتك أمانه²
الفاثك عهد ما تبكي عشانه
حلفتك تقول لي إيه آخرة بكانه
الدنيا الجميلة والحزن الحلال

الطير في غصونه الساجعة في حنانا
كل الناس تعي لي له نحن الهم طوانا
ليه ليه يا قلبي ليه قول لي بأمانة .

المطلب الثالث: الشرح الإجمالي للقصيدة

يؤنّب الشاعر قلبه ويوصيه بأن لا ينسى لحظة إحصاره الممات يوصيه بذكر المودة والحبّ الأكيد لمحبوته ويحلف بالله في قلبه ألا ينسى تلك اللحظة وما تحويه من ذكر وتعظيم ويحلف له ذلك برّبه لأنّه يعرف من قرارات علمه أنّ التذکر القديم والودّ المستديم سوف يتنكّر للحبّ ذاته ويوصيه بأن يصمد أمام تلك التحدّيات صموداً بارزاً لمواجهة التنكرات بشكل يشبه الخصام بينهما ثمّ يُخاطب القلب الموصى أيضاً بأن لا يجد التّهاون اليه من سبيل لأنّه غالي الى حدّ ما ويُحدّره من التذلل لأنّ التذلل حرام شرعاً وتلطّفًا بالموافق .

¹ أوع ، كلمة عامية سودانية تعني احذر وتلطف.

² حملتك أمانة ، يعني بها أمانة الوصية في صون الحب والمودة.

الوصاية للقلب جاءت نتيجة للعذاب الذي كان يُكابه ليلاً ونهاراً في مواصلة حبيبه ولا يجده في حين أنّ معظم الناس كانت تنام نوماً هنيئاً وهو ما زال يتعذّب لوحده بدون أن يشعره أحد ويؤاسيه، ويقول إن حدث له أن يُلاينك في يوم ما ويأتيك الحبيب فلتلاينه أنت أيّها القلب بمثله وتردّ له السلام ولكن لا تنسى ما أوصيتك إياه. أستحلفك بالله يا قلبي في وصايتي هذه بتشميتي لأنني أعرفك وأعرف مزاج عقلك ولا تنسى ما أوصيه إياه. وأستحلفك يا قلبي في هذه فلا تنسى وصيتي بأن لا تخون الذي يخونك في (غرام) أي حبك، وعلى مثل الذي أبكي بعيني فأنت تسهر كذلك بعينيك ولا تقل مرّة ثانية لا أقدر أن أعيش بدون محبوبتي.

إجراء السيد عبد الله في الإنكشاف مشابه بشكل لافت للنظر لمنطق إسماعيل في بعض الجوانب، ولكنه يختلف بشكل كبير في جوانب أخرى.

ستساعد القراءة المقارنة في توضيح تكوين المجال الداخلي في القصيدة، بالإضافة إلى دور الانتباه كمرشح معرفي للحفاظ على الانتباه ودفع المعلومات غير الدقيقة، كما هو الحال في عمل إسماعيل حسن، ويكون ميسراً للعمل البشري في العالم.

السماح للإنسان أن يصمد في أزمات ومسررات العالم ويكون قادراً على العمل والمضي قدماً على طريق الخلاص والخلود.

تُحفز تجربة التغيير التاريخي وعدم ثبات العالم المحيط كلاً من إسماعيل حسن وسيد عبد الله على السعي لتحقيق الاستقرار في الذات وإمكانية التعالي على الأشياء وتكرها بالتلطف على النفس.

ووفقاً للسيد عبد الله، الشاعر يمثل صوت العقل، هذا المصطلح غير موجود في الإنكشاف ولكنه جزء من لغة الصوفية الإسلامية السواحلية، بينما يُخاطب محاوره بكلمة ("القلب") أو الروح، ولتعرف أنّ مويو يعني القلب هو مصدر الطاقة الذي يستمد منه أساس الفاعلية البشرية، إنه أيضاً مثال تأثر به الشاعر ومع ذلك، لديها بعض السيطرة ويمكن أن يأمرها لرفض رغباتها وبالتالي فإن "الذات" هي بناء علائقي تشكلت من علاقة أكيلي ومويو.

فيؤمن السيد عبد الله أنّ الجسد ليس جزءاً من الذات. لا يتمّ النظر فيه بشكل فردي إنه فقط يطيع إملاءات الأنا وهذا مذهب صوفيّ دائماً يميلون الى المعاني المخفية الباطنية.

يبدأ كلا المفكرين من إدراك المعتقدات الخاطئة من مخاطبة قلوبهما ويوصيانهما.

المطلب الرابع:

يقدم إسماعيل حسن تأمله الأول:

حلفتك يا قلبي حملتك أمانه

الفاتك عهود ما تبكي عشانه

حلفتك تقول لي إيه آخرة بكانه
 بعد بضع قراءات يستعيدُ القارئُ المتوقفُ على التّصّ ما المراد بالأمانة عند إسماعيل التي يُوصي بها قلبه ، فتجد
 بعضهم سيقول في التّهاية " أذهلني العدد الكبير من الأكاذيب التي يتحدّث عنها".
 إنّها ليست بأكاذيب ولكنّها معان يقصد بها أمانة الحبّ وهي أعلى ما يُوصيه قلبه ، وهي المراد بالفائت عهده
 ومن أجلها يُوصي بعدم البكاء أيضا.

المطلب الخامس: دراسة مقارنة مع الشاعر السواحليّ:

يؤكد السيد عبد الله بن علي بن ناصر أنّ العالم له طرق عديدة كلّها تؤدّي إلى غشّ

Moyo wangu, nini huzundukani!
 Likughurielo, hela, ni n'ni?
 Hunelezi nami kalibaini,
 liwapo na sura nisikataye?
 Moyo wangu nini huitabiri!
 Twambe u mwelevu wa kukhitari
 Huyui dunia ina ghururi?
 Ndia za tatasi huzandamaye?¹

المطلب السادس: المعنى الإجماليّ للأبيات السابقة:

قلبي لماذا لا تستيقظ؟
 ما الذي يحدّثك؟
 قل لي حتى أتمكّن من فهمه أيضًا
 هل هو مقنع لدرجة أنّني لا أستطيع رفضه أيضًا؟
 قلبي، لماذا لا تنظر إلى الأمام؟
 أنت ذكيّ بما يكفي للتمييز
 ألسنت تعلم أنّ للعالم طرق غشّ؟
 فكيف يمكنك أن تتبّع مساراته المتشابكة
 الخاتمة:

¹ البيتان رقم 11-12 من القصيدة.

نتائج البحث

أولاً: أنّ الشّعر السّواحليّ مرّ بفترة طويلة تُعدّ أطول فترة في عدم الاحتفاء بمناقبه.
 ثانياً: أنّ الشّعر السّواحليّ لا يقلّ شأنًا عن العربيّ من حيثُ أغراض الموضوعات والأداء الفنّيّ.
 ثالثاً: أنّ كلّ ما قيل في التّقدّ العربيّ تكاد تجده لدى السّواحليّ ، ممّا يُقرّب الى الدّهن أنّه منه أو من بعضه وكما تقول العرب "الولدُ صنو أبيه" ، والله نسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ويرزقنا القبول .

توصيات البحث

أولاً: عدم التوقف في توغل البحوث المؤدية الى ابتكار جديد من الشّعر السّواحليّ
 ثانياً: القيام بأنشطة دؤوبة في حقّ الشّعر السّواحليّ مناظراً لمثيله العربيّ.
 ثالثاً: عدم الوقوف على المجهودات العربية فحسب، بل كلّما يُذكر مناقب الشّعر العربيّ يُوالى كذلك نظيره السّواحليّ.

قائمة المراجع :

افريقيا الأرض والناس ، محمد عبد الفتاح ابراهيم ، من السنغال الى نهر جوبا ، صفحات من التاريخ الافريقي ، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية 1961م.

جامع البيان لتفسير القرآن عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، طباعة دار التربية والتراث.

بردة المديح الشريف المبارك ، للإمام شرف الدين ابي عبد الله محمد البوصيري ، دار القرآن للطباعة والنشر والتوزيع ، ميدان الأزهر.

مكتبة الأغنية السودانية ، الشاعر إسماعيل حسن، سودانيس سونغس دت نت .

- Abdulaziz, M.H. (1968) A Note on the Form of the Language of the Poem. Uk 81- katika Lienhard, p (mhariri) the medicinema
- Abdulaziz M.A., (1979,) Muyaka. 19th *Century Swahili Popular Verse*, Kenya Literature Bureau, Nairobi
- De Vere Allen (1977) *Al- Inkishafi: Catechism of the Soul*. Nairobi: East African Literature Bureau.
- Hitchens, W. *Al- Inkisafi: The Soul's Awakening*. Nairobi: Oxford University Press.
- Knappert, J. (1979): *Four Centuries of Swahili Verse: A Literary History And Anthology*, Darf Publishers Ltd.
- Mulokozi, m. M. (1999) Dar es Salaam: Taasisi ya Uchunguzi wa Kiswahili Wa Mberia (1986) “ *Maudhui Katika Al- Inkishafi*”. Unpublished seminar paper, University of Nairobi.
- Robert O Collins, James Macdonald Burns, *African History A History of Sub-Saharan Africa*. Style in Language (Cambridge, Mass.: MIT Press, 1960), p. 423.
- Wa Mlamali, M. (1980) Inkishafi: *Ikisiri ya Muhamadi wa Mlamali*, Nairobi: Longman

مقابلة الشيخ محمد عبد الله مسؤول الدعوة في مسجد الجامع الكبير بنينروي.